علماء وأعلام

آية الله العظمى الشهيد الحاج الشيخ مرتضى البروجردي قدس سره

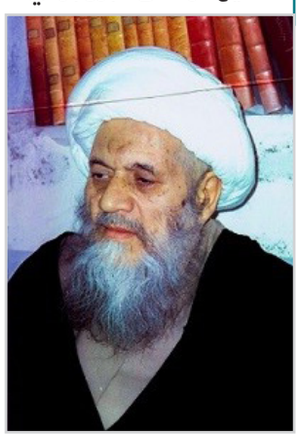

■ مولده ونسبه

ولد آية الله العظمى الحاج الشيخ مرتضى البروجردي نجل آية الله العظمى الحاج الشيخ علي محمد البروجردي في مدينة النجف الاشرف عام (١٣٤٨ هـ) ونال درجة الشهادة عام (١٤١٨ هـ).

■ منزلته العلمية

بدأ هذا العالم الرباني دراسته الدينية على يد والده وهو في السادسة من عمره، فدرس المقدمات والسطوح واجتاز مراحلها بنجاح ليحضر فيما بعد درس الخارج على أيدي أساتذة الحوزة العلمية العريقة. كان مضرب الامثال في دقته وتبحّره وقد بلغ من تقدمه في العلوم الدينية والحوزوية أن كتب رسالته العلمية الخاصة وهو في الثانية والثلاثين من عمره وأصبحت حلقته في تدريس بحوث الخارج من أكثر الحلقات الدراسية ازدهاراً.

■ أساتذته

درس هذا العالم المجاهد على أيدي علماء عديدين منهم: أبوه آية الله العظمى الحاج الشيخ علي محمد البروجردي قدس سره، آية الله العظمى الشيخ حسين الحلي قدس سره، وآية الله العظمى السيد ابو القاسم الخوئي قدس سره.

■ مؤلفاته

للشهيد السعيد والعالم الرباني مؤلفات عديدة وفي طليعتها تقريرات في الفقه والاصول لاستاذه الكبير آية الله العظمى السيد الخوئي وتدعى مستند العروة الوثقى، بلغ ما طبع منها حتى الآن ستة عشر مجلداً، ويعد الكتاب في طليعة ما ينهل منه علماء البحث الخارج في تدريسهم. وقد شهد له السيد الخوئي بسلاسة التعبير وقوة البيان واستدلاله الرصين

■ استشهاده

في ٢٤ من شهر ذي الحجة الحرام سنة (١٤١٨ هـ) وبعد اقامته وامامته صلاة المغرب والعشاء جماعةً في الحرم العلوي الطاهر وعند مغادرته الحرم وفي طريق عودته إلى منزله كانت حفنة من مرتزقة النظام وجلاوزته تكمن له، وانطلقت رصاصات الغدر لتخترق صدره وقلبه العامر بالإيمان. وهوى العالم الرباني شهيداً مضرجاً بدمائه الزكية معانقاً الشهادة في سبيل الله والتي طالما تمناها ودعا الله أن يرزقه إياها. وقد دفن الشهيد وووري الثرى في مقبرة وادي السلام تنفيذاً لما جاء في وصيته. تغمده الله برحمته الواسعة.

المصدر: شهداء العلم والفضيلة في العراق، ص ٦٧

■ ملاحظة

هروب إلى الشهادة

■ زهراء محمد مهدي

لقد ارتبطت قصة أولاد مسلم بن عقيل عليه السلام، بمأساة كربلاء الدامية وحقائق الظلم الأموي، فقد تربوا في كنف أبيهم مسلم عليه السلام، الذي علّمهم الإيمان والثبات على الحق، لكن قدرهم شاء أن يواجهوا قسوة الطغاة وهم صغار بلا دفاع، ليصبحوا شهودًا على جرائم الأمويين ضد الأبرياء.

لم تكن حياتهم حياة عادية، بل رحلة مؤلمة من الملاحقة والخوف، إذ رأوا بأعينهم الدماء تسيل والحق يُستباح، لكن في قلب كلّ واحد منهم شعلة من الإيمان والشجاعة.

وهروب أولاد مسلم عليه السلام إلى الشهادة لم يكن مجرد فرار من بطش الأعداء، بل كان اختيارًا واعيًا، وطريقًا للكرامة وللنجاة المعنوية من الذل والخضوع.

وفي سن مبكرة، تعلّم هؤلاء الصغار أنّ الموت بيد الظالمين أفضل من حياة خاضعة للباطل، وأنّ التضحية في سبيل الله والحق تجعل النفس خالدة، مهما كانت السنوات قصيرة.

لقد واجهوا الإجرام الأموي بلا خوف، فكانت دماؤهم شهادة على التاريخ وثبات لكلمة الحق، وتجسيدًا لمعنى الصبر على الظلم والتمسك بالعدل.

ومن كربلاء إلى أمان الموت، يظل أولاد مسلم محمد وإبراهيم عليهما السلام موضوعًا للبطولة التاريخية، يذكّرون كلّ الأجيال أنّ الحق يحتاج تضحيات، وأنّ الشهادة ليست نهاية بل بداية لعظمة تتجاوز الزمن.

ولها عبرة تعلّم الصغار والكبار معنى الثبات على المبدأ، وإدراك أنّ التضحية في سبيل الله أسمى من كلّ متاع زائل، وأنّ مواجهة الظلم بشجاعة -على الرغم من صغر سنهم- سمةٌ للنبلاء، وهو تجسيد لتاريخ أهل البيت عليهم السلام وكلمتهم التي هي مطابقة للقرآن الذي هو حجة على الأمة.

المصدر: نشرة الكفيل

أسئلة وردود

(وقد اعتقد بعض كبار فقهاء الإماميَّة بأنَّ الفقه الشيعيّ ناظرٌ في إنجازاته العلميَّة إلى الفقه السنّيّ، ولا يمكن تحقّق فهم الفقه الشيعيّ بشكلٍ تامٍّ إلَّا لمن يفهم الفقه السنّيّ بشكلٍ تامٍّ..) [منذر الحكيم، بحث بعنوان: مراحل تطوّر الاجتهاد في الفقه الإماميّ، في مجلّة "فقه أهل البيت"].

ما رأيكم بهذا الكلام؟

■ الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

كي نفهم هذه المقولة بشكلٍ صحيحٍ، يجب أن ننظر إلى الظروف التاريخيَّة التي نظر إليها المؤلِّف، وأن نقرأ كلام صاحبها كاملاً دون نقصٍ، فاجتزاء الكلام يشوّه معانيه ويقود إلى تأويلاتٍ مغلوطةٍ.

فنقول: إنَّ المراد من هذه العبارة ـ كما يظهر من كلمات بعض العلماء ـ هو أنَّ كثيراً من روايات الأئمَّة عليهم السلام كانت تصدر ضمن فضاءٍ اجتماعيٍّ وفقهيٍّ كانت تهيمن عليه المدرسة الفقهيَّة السنّيَّة بوصفها الفقه الرسميّ والحاكم في المجتمع الإسلاميّ آنذاك؛ ولذلك فإنَّ فهم هذه الروايات فهماً دقيقاً يقتضي أحياناً ملاحظة فتاوى فقه العامَّة والاتّجاهات الفقهيَّة السائدة زمن صدور النصّ؛ فإنَّ لهذه المعرفة آثاراً مهمَّةً في عمليَّة الفهم والاستنباط، من قبيل تشخيص ما صدر على سبيل التقيَّة أو التورية، وفهم أجواء صدور الرواية وملابساتها، وتمييز ما إذا كانت الرواية واردةً في مقام بيان الحكم الواقعيّ وتشريعه، أو في مقام دفع توهّم الإلزام، أو مجاراة السائل، أو معالجة ظرفٍ خاصٍّ، ونحو ذلك من القرائن التي تؤثّر في تحديد مدلول الرواية وحدود دلالتها.

وعليه، فالمراد ليس أنَّ الفقه الإماميّ فرعٌ عن الفقه السنّيّ أو تابعٌ له، بل إنَّ بعض طبقاته الروائيَّة والجدليَّة لا تُفهم بدقَّةٍ إلَّا بعد معرفة الطرف المقابل الذي كانت الروايات ناظرةً إليه، وهذا نظير أيّ خطابٍ حواريٍّ أو جدليٍّ لا يمكن فهمه بمعزلٍ عن معرفة السياق الذي وُلد فيه.

وهذا المعنى يتّضح بصورةٍ أكبر عند الالتفات إلى المرحلة العلميَّة التي ينظر إليها مؤلِّف هذه المقولة، وهي المرحلة التي عاشها الشيخ الطوسيّ، ففي مدرسة بغداد، وتحت ظلّ الحكم البويهيّ، برز فنّ «الفقه المقارن» أو «فقه الخلاف» بوصفه ضرورةً علميَّةً واجتماعيَّةً فرضها واقع التعدّد المذهبيّ والاحتكاك الفقهيّ المباشر.

وفي هذا الإطار، جاءت مصنَّفاتٌ من قبيل الانتصار للسيِّد المرتضى، والخلاف للشيخ الطوسيّ، وهي كتبٌ لم يكن هدفها مجرَّد عرض الأحكام، بل بيان انفرادات الإماميَّة وإبراز تمايز منهجهم الفقهيّ في مواجهة المذاهب الأخرى. ولتحقيق هذا الغرض، كان لا بدَّ للفقيه الإماميّ من اعتماد تبويبٍ موحَّدٍ يسمح بعرض آراء المذاهب الأخرى أوَّلاً، ثمَّ إيراد رأي أهل البيت عليهم السلام في الموضع نفسه، بما يسهّل المقارنة ويُحكم الاستدلال.

وقد أكَّد المؤلِّف هذه الحقيقة بوضوحٍ؛ حيث بيَّن أنَّ الفقه السنّيّ كان فقه الدولة والفقه الحاكم على الساحة العامَّة، الأمر الذي فرض حضوره بوصفه الإطار الفقهيّ السائد، ولم يكن أمام الفقهاء الشيعة، في هذا الواقع، إلَّا أن يأخذوا هذا الفقه بعين الاعتبار، مع التزامهم باتّخاذ المواقف الفقهيَّة المنسجمة مع الأصول والمباني الإماميَّة في الوسط الذي كانوا يعيشون فيه؛ إذ إنَّ التعايش المذهبيّ كان واقعاً مفروضاً لا مناص منه. [ينظر: فقه أهل البيت ج١٣ ص١٨٣-١٨٥].

ويؤيّد هذا التحليل ما ذكره الشيخ الطوسيّ في بيان سبب تأليفه كتاب المبسوط؛ إذ كشف هناك عن السياق العلميّ والجدليّ الذي كان يعيشه الفقه الإماميّ في بغداد، فقد أشار إلى أنَّه كان يسمع من فقهاء المخالفين، ومن المتفقّهين المنتسبين إلى علم الفروع، استصغارَهم لفقه الإماميَّة، ونسبتَهم إيّاه إلى قلَّة الفروع والمسائل، واتهامَهم بأنَّهم أهل حشوٍ ونقلٍ، لا يملكون القدرة على التفريع وبناء المسائل، بزعم أنَّ نفي القياس والاجتهاد يسدّ باب التوسّع الفقهيّ.

وقد ردَّ الشيخ الطوسيّ على هذه الدعوى بردٍّ منهجيٍّ وقال: «إنَّ هذا الاتّهام ناشئٌ عن الجهل بمذاهب الإماميَّة وقلَّة التأمّل في أصولهم؛ إذ إنَّ جلَّ ما يذكره فقهاء العامَّة من مسائل موجودٌ في أخبار أهل البيت عليهم السلام، إمَّا نصّاً صريحاً، أو عموماً، أو تلويحاً، وبيَّن في هذا السياق أنَّ كثرة الفروع في كتب العامَّة إنَّما نشأت في كثيرٍ من الأحيان من تركيب المسائل بعضها على بعضٍ، وتعليقها، والتدقيق الصناعيّ فيها، حتَّى غدت بعض المسائل الواضحة مسائلَ دقيقةً بفعل الصياغة الفنيَّة، لا لتعقيدٍ حقيقيٍّ في مضمونها». [المبسوط ج١ ص٢-٣].

وعليه فإنَّ ما قدَّمه الشيخ الطوسيّ يكشف:

أوَّلاً: أنَّ منهجه وغرضه كان أوَّلاً وبالذات هو الردّ والمحاجَّة، ثمَّ بيان الأحكام؛ ومن الطبيعيّ في المصنَّفات ذات الطابع الجداليّ أن يتوقَّف فهمها العميق على فهم آراء الخصم للوقوف على أبعاد الردّ والاستدلال.

وثانياً: أنَّ التوسّع في التفريعات الفقهيَّة لدى الإماميَّة لم يكن نابعاً بالضرورة من الابتلاء العمليّ بتلك المسائل آنذاك، بقدر ما كان استجابةً لضرورة الردّ على الخصوم ودفع اتّهاماتهم، وهو ما صار سبباً غير مباشرٍ لتطوّرٍ لافتٍ في آفاق فقه أهل البيت وتوسيع دائرة فروعه؛ إذ لولا هذا السياق الجدليّ، ربَّما لما وجد الفقيه الإماميّ أو المكلَّف في تلك المرحلة حاجةً ملحَّةً لكلّ هذا التراكم في التفريعات الدقيقة، فمن هذه الجهة هو سببٌ لتطوّر الفقه الإماميّ، وهذا هو مراد صاحب المقولة.

المصدر: مركز الرصد العقائدي

مقتطفات

■ الآخوند الخراساني قدس سره:

وكثيراً ما يعتقد الشخص أنه مُخلِصٌ في العمل، ولكنه في الواقع ليس كذلك، بل هو نابع من شرك خفي وتوحيد للنفس أو رياء.

ولعل هذا هو السبب في أن جماعة من أجلاء الصلحاء والسابقين كانوا يُعيدون عبادات عُمُرِهم بأكملها عدة مرات. ولعلَّ غرضهم من ذلك هو أنَّه ربما تَتَحَقَّقُ لهم مرتبةٌ من الإخلاص - في المرة الثانية أو ما بعدها - لم تكن مُتحقِّقة قبل ذلك، مع أن الأعمال السابقة كان محكوماً عليها شرعاً بالصحة والإجزاء، ولم يكن الإعادة لاحتمال أو انكشاف خلل وفساد فيها؛ لأن هذا الاحتمال في حقهم بعيد جداً.

ولعل هذا هو أيضاً حكمة مشروعية إعادة الصلاة جماعة، كما ورد: «إن الله يختار أحبّهما إليه»

فيجب على الإنسان العاقل أن يبذل غاية الجهد في مراقبة نفسه حتى يدرك حقيقة حاله.

فإذا لم يجد فرقاً في أداء العبادات بين حال الخلوة والجلوة –أي بين كونه منفرداً أو في حضور الناس– بل يعمل في حال الخلوة خصوصيات من الخضوع والخشوع وحضور القلب والإقبال ومراعاة الآداب والمستحبات لا يُحَبّذ إظهارها في حال حضور الناس؛ فَطُوبَى لَهُ، فهذه علامة وجود الإخلاص على سبيل الحقيقة.

ولكن إذا سلك الشخص طريق الإنصاف، فإنه يشهد بأن هذه المرتبة لا تحصل إلا للأوحدي من الناس.

رَزَقَنَا اللهُ تَعَالَى تَوْفِيقَ الطَّاعَةِ وَقَبُولَهَا بِإِخْلَاصِ النِّيَّةِ.

المصدر: الدروس الأخلاقية للآخوند الخراساني قدس سره/ مركز النجف الأشرف للتأليف والتوثيق والنشر

ضرورة تحصيل الإخلاص في العبادة

مصطلح الأسبوع

الشر الأخلاقي

يُقصد بالشرّ الأخلاقي الأفعال القبيحة التي تصدر عن الإنسان باختياره، كالقتل والسرقة والظلم، وتؤدي إلى إلحاق الأذى بالآخرين. ويُعدّ وجود هذا النوع من الشرور من أبرز الإشكالات التي أُثيرت في مواجهة الأديان؛ إذ يستند بعض الملاحدة إلى انتشار الظلم والجرائم في العالم لنفي وجود إلهٍ عادلٍ وخيّر. وفي المقابل، سعى المتكلّمون والفلاسفة إلى بيان عدم تعارض هذه الشرور مع الإيمان بالله تعالى.

يرى علماء الكلام المسلمون أنّ منشأ الشرور الأخلاقية هو حرية الإنسان واختياره، لا إرادة الله المباشرة. فالله سبحانه خلق الإنسان مزوّداً بالعقل والقدرة على التمييز بين الخير والشر، ومنحه حرية الاختيار ليكون مسؤولاً عن أفعاله. ولولا هذه الحرية لفقدت الأعمال الإنسانية قيمتها الأخلاقية، ولما استحق الإنسان الثواب أو العقاب. وقد أشارت بعض الروايات، ومنها ما ورد في «توحيد المفضّل»، إلى أنّ الاختيار هو سرّ تميّز الإنسان على سائر المخلوقات.

وبناءً على ذلك، فإنّ الله لم يخلق إنساناً شريراً بطبيعته، بل خلق إنساناً حراً قد يُسيء استخدام حريته. كما أنّ وجود الشرور في الحياة الدنيا يهيّئ ساحة الابتلاء والتكامل، ويُسهم في ظهور فضائل كالصبر ومقاومة الظلم ونصرة المظلوم. ويرى بعض العرفاء أنّ وجود الشرور يهيّئ المجال لتجلّي بعض الأسماء والصفات الإلهية، كالعفو والانتقام والعدل.

وتؤكد العقيدة الإسلامية أنّ حقوق المظلومين لن تضيع، وأنّ الله تعالى سيقتصّ من الظالمين ويعيد الحقوق إلى أصحابها في الدنيا أو الآخرة، الأمر الذي ينسجم مع عدله المطلق.

ومن التفسيرات الفلسفية المعروفة أنّ الشر ليس وجوداً مستقلاً، بل هو نقص أو فقدان للكمال؛ فالرذائل تنشأ من غياب الفضائل، كما ينشأ الظلم من غياب العدل. ومع ذلك، رأى بعض المفكرين المسلمين، ومنهم الشهيد مرتضى مطهري، أنّ هذا التفسير وحده لا يكفي لتقديم جواب كامل عن مشكلة الشر الأخلاقي.

قَبَسٌ مِن نور

حين تصبح القيامة أقرب مما نظن

■ أحمد باقر الطويل

ليست المشكلة الجوهرية أن الإنسان لا يؤمن بالموت أو القيامة، فهذا أمر يشترك فيه الجميع تقريباً، لكن الإشكال يكمن في أن المعرفة إذا بقيت حبيسة الذهن لم تتحول إلى حضور حي في القلب، وبقيت فكرة ساكنة لا تُحدث أثرها في الوعي. عندها تتساوى الأشياء البعيدة والقريبة، لأن المسافة الحقيقية ليست في الخارج، بل في مقدار ما تتركه الحقيقة من أثر داخل الإنسان. ومن هنا تنشأ الغفلة: لا من إنكار للحقيقة، بل من غياب حضورها. ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ذُكرت الساعة تغيّر وجهه واحمرّت وجنتاه، وقال: «أنا والساعة كهاتين»، مشيراً إلى إصبعين متجاورين، لا ليقيس زمناً، بل ليكشف أن المسافة بين الإنسان والحقيقة ليست زمناً أصلاً، بل هي درجة حضور؛ فقد تكون القيامة أقرب من كل ما يراه الإنسان قريباً، لكنه لا يراها لأنه لا يعيشها بقلبه صلى الله عليه وآله.

وكان حديثه صلى الله عليه وآله عن الجنة والنار والحساب حديث من يشهد لا من يُخبر، لأن الآخرة لم تكن عنده احتمالاً ذهنياً، بل حضوراً مكشوفاً في الوعي. وهنا ينكشف الفارق بين أن تعرف الشيء، وبين أن تُدركه كواقع يضغط على إدراكك وتصرفاتك. وما يبدو في الدنيا من أفعال ليس نهايته الحتمية؛ فالقرآن يفتح نافذة على باطن العمل، حيث تنقلب الصورة المشهودة في الدنيا إلى حقيقة أخرى في الآخرة. فالقول ليس قولاً مجرداً، والفعل ليس فعلاً عابراً، بل لكل شيء امتداد غيبي لا يُرى الآن. وقد ذكر أهل المعرفة أن باطن الحرام ظلمة وباطن الطاعة نور، وأن الإنسان قد يواجه هناك أثر فعله قبل أن يواجه ذاته؛ وهكذا تتحول الأخلاق إلى نسيج داخلي يصوغ صورة الإنسان في عالم آخر لا تحكمه الظواهر السطحية صلى الله عليه وآله.

والموت ليس عبوراً هادئاً كما يتخيله الإنسان الغافل، بل لحظة انكشاف مفاجئة يُنتزع فيها من مألوفه إلى ما لم يألفه. هناك لا تُستحضر التفاصيل، بل تُستحضر الجذور: مَن ربك؟ ما دينك؟ مَن نبيك؟ وكأن الامتحان هناك لا يسأل عن كثرة المعارف الصورية، بل عما صار حياً فيك. وقد يكتشف الإنسان حينها أن المعرفة التي لم تتحول إلى يقين، كانت مجرد ظل معرفة لا يغني عند الحقيقة المطلقة. ولهذا لم يُجعل الذكر مقيداً بوقت، لأنه حالة يُقام بها الإنسان؛ فالكثرة في قوله تعالى: ﴿اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ ليست في اللفظ، بل في امتلاء الوعي بالمعنى، وحين يستقر الذكر في النفس تضرعاً وخيفة، ينقلب من العادة إلى الحضور الحقيقي، ويحفظ الإنسان من التبعثر وسط زحام العالم ومشتتاته صلى الله عليه وآله.

ولهذا قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «تخففوا تلحقوا»، فالمشكلة ليست في مشقة الطريق، بل في الثقل والتعلقات الزائدة التي يحملها الإنسان معه، والتي تشكل عبئاً يؤخر حركته، بينما يمثّل التحرر اقتراباً من الخفة التي تسمح بالعبور. والعبادات في حقيقتها تدريب على هذه الخفة والتحرير الداخلي، وليست مجرد طقوس مكررة. إن القيامة ليست حدثاً يقبع في نهاية الزمن، بل حضور يسير مع الإنسان في كل لحظة، والمسافة إليها ليست زمناً يُقطع بل وعي يُفتح، حيث يلتقي الإنسان بما صنعه هنا؛ لأن ما يُبنى في الداخل ينتقل معه حيث ينكشف كل شيء، ومن هنا تصبح العبادة إعادة تشكيل للوعي قبل لحظة الانكشاف الحتمي.